

## الكهنوت بحسب القديس سمعان المترجم - ٣

### إعداد أسرة التراث الأرثوذكسي

#### الكهنوت والنسك المسيحي

بعد أن تحدث عن بذل الذات وإنكارها من أجل الآخرين والخدمة المضحية باعتبارها المواصفات النموذجية للكهنوت المسيحي، انتقل القديس سمعان إلى شهادة النسك المسيحي ليوضح فهمه للكهنوت بشكل أكبر. ما يشير إليه هنا هو أن النموذج النسكي أساسي لنموذج الكاهن. الناسك هو الذي يحب الرب فوق كل شيء. الكاهن هو الذي يحب الرب ويقبل دعوته ليرعى خرافه. يتساءل القديس عن صحة أن ثوب النسك الإلهي الحامل الصليب (τό σχήμα) هو علامة فقر المسيح. أليست علامة الصليب هي أيقونة الموت ودراسة كل ما هو فوق العالم وما وراءه والتخلي عن كل ما هو سفلي وما هو أرضي ورفضه؟ فيقول إن الأمر كذلك بالفعل. ومع ذلك، كان هناك الكثير من المعلمين الروحيين العظماء، الذين فهموا تماماً واحترمو هذا الرداء النسكي في حياتهم، لكنهم تجنبوا تولي سمو مجد الكهنوت المقدس. يوضح أن ذلك لم يكن لأنهم ظنوا أن الكهنوت أمر يجب تجنبه، بل لأن سموه يتطلب نفساً عظيمة جداً وقادرة على تقديم الأعمال المقدسة. إنه يتطلب نفساً على أعلى قدر من النقاء الإنساني؛ نفساً حريصة تماماً ولا تتعب من أن تكون نافعة للإخوة، لأن الكهنوت هو عمل الله، الذي أحبه وقام به من محبته. هذا هو بالضبط ما أكده المسيح لبطرس ثلاث مرات، وكل ما هو النسك المسيحي في الأساس.

كثيرون من المعلمين الروحيين العظماء، الذين لبسوا ثوب النسك بكل تواضع حقيقي، تراجعوا أمام دخول مراتب الكهنوت، لأنهم اعتبروه أعلى من طاقتهم بكثير. كان هؤلاء الناسك العظماء والحقيقيون في الواقع أكثر أهلية للكهنوت من الآخرين الذين سعوا إليه علناً بدلاً من تجنبه، معتبرين أنفسهم الأكثر استحقاقاً له بسبب سمو ونقاء قيمهم الرهبانية. يقول القديس سمعان: لا شك أن المثل الرهبانية تتناسب تماماً مع الدعوة الكهنوتية السامية النقية. في الواقع، الكنيسة تعرف ذلك، ولذلك أوكلت حمايتها إلى الناسك القديسين. لقد صارت عادةً أن يرقى الكهنة الناسك إلى رئاسة الكنيسة، ويطلب من هؤلاء الكهنة، المتقدمين إلى الرئاسة أن يتخذوا أولاً ثوب النسك!

يرى القديس سمعان أن ربط الكهنة الناسك بالمراتب العليا من الكهنوت يمثل النظرة السامية نحو حُماة الكنيسة الأمناء الإلهيين. ومع ذلك، غالباً ما يحدث أن الكهنة الناسك أنفسهم يفسدون ويجعلون مثل هذه النظرة السامية عديمة الفائدة! ما هو سبب مثل هذه المشكلة وكيف يمكن علاجها؟ إن المشكلة في هذه الحالة، بحسب القديس سمعان، هي ابتعاد هؤلاء الكهنة عن مُثلهم الرهبانية. بإفسادهم لثوبهم النسكي يفشلون في تقديم كهنوتهم بشكل مستحق. عادة ما يكون هؤلاء الناسك مهتمين فقط بالحصول على هذه السلطة الإلهية. ولذلك يوظفون كل قواهم ويضحون بكل ما يملكون في سبيل تحقيق ذلك. ومع ذلك، بمجرد حصولهم عليها، يثبتون أنهم غير جديرين بممارستها. إنهم يفعلون عكس ما يُفترض بهم أن يفعلوا، على حساب أنفسهم والكهنوت نفسه.

يقول القديس سمعان: لا ينبغي بأحد أن يطمح إلى نيل الحلة الكهنوتية لكي يصعد على سلم الكهنوت. يجب على كل من يُنتخب للكهنوت أن يفكر أولاً في هدفه الإلهي والسامي، حتى يتواضع مع السيد الذي تواضع ويلبس صورته. غالباً ما يؤدي الفشل في ذلك إلى قيام الكهنة المُعَيَّنِينَ حديثاً بتحويل هذا الأمر الإلهي إلى مصدر غرور وعمى. وهذا ليس بسبب الكهنوت في حد ذاته، بل بسبب اختيار الكهنة، الذين

<sup>١</sup> وبحسب المعلم الطيب الذكر يوحنا رومانيدس، فإن هذا التقليد بدأ مع سمعان اللاهوتي الجديد.

لا تُوجّه أذهانهم نحو الحق الإلهي، بل يُتركون ليتشاءوا في الكسل وليتعلقوا، أو حرفياً ليتسمّروا، بالأمور الدُّنيا والتي تعود إلى الأناثية.

يقول القديس سمعان: لا ينبغي للكهنة أن يفكروا أو يسلكوا بهذه الطريقة. حتى أنه يلوم نفسه لأنه وقع في كثير من الأحيان تحت سلطان أفكار مماثلة من الكبرياء والعمى. ومع ذلك، فهو في هذا الصدد لا يتردد في توضيح ما يعرف أنه إلهي وصحيح. ويقول إن هذا هو ما يجب تقديمه بوضوح حتى تتم إدانة الكهنة في حالة خداع أنفسهم بأفكار غير لائقة. إلى ذلك، من النافع بالحقيقة للكهنة أن يتذكروا ما يليق بهم وما هي الأفكار الصالحة لهم حقاً. إن السماح إذن بحركات الفكر غير اللائقة وهجمات الأفكار أمر غير لائق بالكهنة، أي أنه ليس من الممارسة الصحيحة لإرادتهم الحرة. ومن ناحية أخرى، فإن الانخداع هو نتيجة تبني الأهواء. لكن حرية الكهنة الحقيقية هي أنهم بعد أن يتوصلوا إلى التعرف على مصلحتهم الحقيقية يعودون بإرادتهم الحرة إلى ما هو أعظم وحقيقي. إن الفشل في القيام بذلك يستوجب الإدانة. على العكس من ذلك، فإن الاستعداد للخضوع لفحص الذات بغرض استعادة الاستقامة هو في الواقع واجب وامتنياز مقدس. يحتاج الكهنة إلى فحص أنفسهم في ما يتعلق بمن يخدمون، وعمل مَنْ هم يعملون، وصورة مَنْ هم يحملون. فما هي الصورة الحقيقية للكاهن في ظل كل هذا؟

### صورة الكهنوت الحقيقية

الكهنة هم خدام خالق الكل، وعليهم أن يساهموا في استعادة الذين تم تغريبهم باختيارهم الحر وسقطوا في الشر. الكهنة هم خدام العمل الإلهي الأعظم، الذي به يتم لمّ شمل الكائنات الأرضية والسماوية، وتذوب العداوة، ويصنع الله السلام مع البشر، ويتوقف كل خداع، وينطفئ سلطان الشياطين، ويصبح البشر متساوين مع الملائكة أبناءً لله وآلهة بالنعمة. هذا هو العمل الذي يقوم به الكهنة بطريقة لا توصف من خلال ليتورجياتهم، والمواهب التي يوزعونها، والحقائق التي يُدخلون الآخرين إليها. إنهم يحملون صورة إلهية حقاً، وهي الأسمى، كل واحد حسب استحقاقه.

الأسقف، بشكل أكثر تحديداً، هو أيقونة الله بامتياز، وكذلك الكهنة من بعده بسبب الموهبة التي تلقوها وخاصة بسبب تقديمهم الذبيحة السرية. الأسقف هو أيقونة أبي الأنوار، الذي منه تأتي كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة، ولذلك يعتبر منيراً. يقف الكاهن أيضاً كنموذج من الرتب السامية ويعمل بمثابة نور ثانٍ ينقل الأسرار ويقوم بخدمتها ويسمى على هذا الأساس مديراً وموزعاً. والشماس هو المرتبة الثالثة وهو نموذج للملائكة الخادمين الذين يُرسلون دائماً إلى الذين يرثون الخلاص. ولهذا دُعي بالكارز، المُهيئ، المُدبر والموزع أيضاً. الثلاثة هم حراس (παραστάται) للإله الواحد والتقدمة المضحية. إنهم يشتركون فيه [الله] ويصبرون معه جسداً واحداً، ممجدين معه، ناقلين للنعمة الإلهية، مع أن هذه الوظيفة الأخيرة تتم حسب الترتيب الذي أُعطي لكل واحد منهم من فوق.